مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

لورنزو ڤالا نشأته، حياته، عمله

(١٤٠٧-١٤٥٧م)

م.د. محمد محمد سعيد مهيدي الهيتي
المديرية العامة لتربية الانبار، العراق
m8alheet@gmail.com

المُستخلص:

لورينزو فالا (١٤٠٧-١٤٥٧م) كان مفكرًا وإنسانيًا إيطاليًا وُلد في روما وتلقى تعليمًا رفيعًا في البلاغة واللغة اللاتينية. عُرف بدفاعه عن العودة إلى الأسلوب اللاتيني الكلاسيكي متأثرًا بكتابات شيشرون، واعتبر أن فهم اللغة بدقة هو مفتاح فهم التاريخ والفكر القديم.

من أهم مؤلفاته كتاب «حول بهجة الخير الأسمى» (De Voluptate)، الذي ناقش فيه قضايا أخلاقية وفلسفية، وكتاب «أناقة اللغة اللاتينية» (Elegantiae linguae Latinae)، الذي أصبح مرجعًا مهمًا في دراسة قواعد وأسلوب اللاتينية الكلاسيكية. وقد أحدث هذا الكتاب تأثيرًا واسعًا في الأوساط العلمية الأوروبية.

أشهر إنجازاته كان رسالته التي أثبت فيها زيف وثيقة «هبة قسطنطين» المنسوبة إلى الإمبراطور قسطنطين الأول، حيث استخدم التحليل اللغوي والتاريخي ليبرهن أن أسلوب الوثيقة ومصطلحاتها لا تعود إلى القرن الرابع الميلادي، بل إلى العصور الوسطى.

ورغم جرأته في نقد بعض الممارسات الكنسية، عُيّن لاحقًا كاتبًا رسوليًا في خدمة البابا نيقولا الخامس، ما يدل على تقدير مكانته العلمية. يُعد فالا من الشخصيات التي أسهمت في ترسيخ منهج النقد العلمي للنصوص، ومهّدت أفكاره لظهور حركة الإصلاح الديني والتطور اللاحق في الدراسات الإنسانية بأوروبا.

الكلمات المُفتاحية:

لورنزو، فلا، نشأته، حياته، علمه

تاريخ الاستلام: ٢/٣/ ٢٠٢٦ تاريخ القبول: ٢٩/٣/ ٢٠٢٦ تاريخ النشر: حزيران /٢٠٢٦

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

Lorenzo Valla: His Upbringing, Life, and Work

(1407-1457 CE)

Lecturer Dr. Mohammed Mohammed Saeed Mahdi Al-Hiti

General Directorate of Education in Anbar, Iraq

m8alheet@gmail.com

Abstract

Lorenzo Valla (1407–1457) was an Italian philosopher and humanist born in Rome who received a high-level education in rhetoric and Latin. He was known for his advocacy of a return to classical Latin, influenced by the writings of Cicero, and believed that a precise understanding of language was key to understanding history and ancient thought.

Among his most important works are "On the Joy of the Supreme Good" (De Voluptate), in which he discussed ethical and philosophical issues, and "The Elegance of the Latin Language" (Elegantiae linguae Latinae), which became a major reference work on the grammar and style of classical Latin. This book had a widespread influence in European scholarly circles.

His most famous achievement was his treatise proving the falsity of the "Donation of Constantine," attributed to Emperor Constantine I. He used linguistic and historical analysis to demonstrate that the document's style and terminology did not date back to the fourth century CE, but rather to the Middle Ages. Despite his outspoken criticism of certain Church practices, he was later appointed apostolic scribe in the service of Pope Nicholas V, a testament to the high regard for his scholarship. Falla is considered one of the figures who contributed to establishing the scientific method of textual criticism, and his ideas paved the way for the Protestant Reformation and the subsequent development of humanistic studies in Europe.

Keywords:

Lorenzo, Valla, his books, his criticism.

Received: 2/3 /2026 Accepted: 29/3/2026 Published: June /2026

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المقدمة:

لورينزو فالا (١٤٠٧– ١٤٥٧) يعد من أبرز الشخصيات الفكرية المهمة في تاريخ أوربا وخاصة في إيطاليا, وكان أحد رموز الإنسانية التي ساهمت في نقد الفكر التقليدي وإعادة إحياء التراث الكلاسيكي, اشتهر بنقده الجريء للفلسفة المدرسية, كما سأتناولها في المبحث الثاني وكانت لديه عدة كتب منها المتع والملذات, إذ تميز بدراسته للنصوص القديمة التي كشفت عن زيف العديد من الوثائق التي استخدمت لدعم السلطة الدينية منها كشف زيف وثيقة (هبة قسطنطين) التي كانت تمنح السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية. ترك فالًا تأثيرًا عميقًا على الفكر الأوربي من خلال دعوته إلى الاعتماد على النصوص الأصلية والابتعاد عن القيود الفكرية التي فرضتها الفلسفة المدرسية, ممّا جعله راشدًا في تمهيد الطريق؛ لظهور التفكير النقدي الحديث.

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الأول

نشأته وحياته

لورنزو فالا (حياته ونشأته):

هو أحد أكبر النهضويين والإنسانيين في القرن الخامس عشر (١٤٠٧– ١٤٥٧) (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٥؛ Amold, 2011, P.44), ومن أبرز مؤرخي عصر النهضة ولد ونشأ في روما وصار قسيسًا (رمضان, ص٦٨), ترعرع في وسط مثقف, فتأثر بأبيه الذي كان مختصًا بالقانون المدني ومتوليًا المحاماة في إحدى الدوائر التابعة للكرسي الرسولي (الفاتيكان), وعندما تيتم في سن المراهقة, ولم يكن قد تجاوز سن الثالثة عشر, عاش في كنف أحد أعمامه, فواصل دراسته, وتعلم اللغتين اللاتينية والاغريقية على يد أحسن المعلمين في روما, وأبدى تعلقًا بهاتين اللغتين, وأصبح وهو في السابعة والثلاثون من البارعين فيها, كما قد تطلع على الآداب القديمة بعد أن تتلمذ على يد العالم اللغوي حيوناني أوريسبا, وأبدة فهمًا عميقًا ومعالجة دقيقة في دراسته للنصوص اللاتينية, وهذا ما ساعده على الانخراط في سلك الكهنوت وتولى منصب كاهن عام (١٤٣١) (سعيدوني, ص١٠). وحصل على الاستاذية في البلاغة, وقد درس في أكثر من جامعة وألقى المحاضرات في الكثير من المدن, وكان لورنزوا إنساني, وخطابي, ومصلح, ومعلم, وخبير في فقه اللغة القديمة, دعا إلى إصلاح اللغة والتعليم عن طريق الإفادة من الفكر الإنساني القديم, وسمعت له المعرفة الواسعة في مجال اللغويات اللاتينية واليونانية بإجراء تحليل شامل لبعض وثائق الكنيسة والمساهمة في تدمير الأساطير والأخطاء المحيطة بهم, وأخضع فكر أرسطو للحوار والمناقشة, وكان هدفه الرئيسي هو خلق اتجاهات جديدة للفكر الفلسفي (نعمة, ٢٠٢٢, ص١٠١).

فعبر لورنزو فالا عن إحباطه من منطق العصور الوسطى قائلًا " ليس كل إنسان حجرًا, وبعض الناس حيوانات؛ إذن بعض الحيوانات ليست حجارة", فكان اهتمامه بالمؤثرين من أهل الخطابة أكثر من اهتمامه بأشكال القياس المجردة والاصطناعية لدى أرسطو (جوتليب, ٢٠٠٠, ص٤٣٤). على الرغم من كفاءة فالا العلمية والتزامه, فإنّه لم يرتق إلى منزلة الكاتب الرسولي التي كان يأمل ببلوغها بسبب مزاجه الحاد وعدم رضا البابا مارتينو الخامس عنه, ما دفعه إلى مغادرة روما والاعتزال في موطن أسرته بياتشنزا, ليعيش من عائدات ميراث حصل عليه من ربح أسرته, فأغناه ذلك عن الارتباط بالوظيفة, وأبعده عن مجتمع روما في أثناء الاضطرابات التي صاحبت انتخاب البابا أوجينيو الرابع (سعيدوني, ص٢٧). فاشتغل بعد ذلك بالتدريس فتولى كرسي البلاغة اللاتينية في جامعة بافيا, وانتقد بشدة سلوك بعض المشرعين ورجال القانون ومواقفهم, وكان في مقدمة هؤلاء القانوني باترال, فكثر عدد مناوئيه, واضطر إلى مغادرة بافيا ليتجنب خصومه, وينجو من الإصابة بالطاعون الذي انتشر فيها, فقصد ميلانو ومارس فيها التدريس (١٤٣٣) ومنها انتقل إلى جنوى ثم فلورنسا قبل أن تشمله رعاية ملك الأراغون الفونسو الخامس,

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الذي كان على رأس جيشه في حملة عسكرية للاستيلاء على مملكة نابولي, فنال فالا رعاية الملك الفونسو الخامس (١٤١٦– ١٤٥٨) الذي نجح في الاستيلاء على نابولي, فاستقر في بلاطه (١٤٣٥) وصاحبه في أسفاره وشهد معه حروبه, هذا ما سمح لفالا أن يندمج في مجتمع روما مجددًا رغم نفوره من المظاهر الدنيوية التي طغت على الحياة في مقر الكرسي الرسولي (سعيدوني, ص٢٨). فكانت نظرة فالا عن عصر النهضة تمكن في قوله هذا " لقد كتب على الألف اللاتيني أن يهوى إلى الحضيض, إلى الصدأ والعفن والحق, إنّ للحكماء آراء متعددة في كيفية حدوث هذا, أنا لا أقر أيًا من هذه الآراء ولا أرفضه, لكني أجرؤ على القول فقط, بتجرد واتزان, إنّ الفنون التي تنتمي أكثر ما تنتمي للفنون الحرة, وهي فنون الرسم والنحت والنمذجة والعمارة, قد انحطت انحطاطًا كبيرًا ولفترة طويلة, بل كادت أن تختفي باختفاء الآداب ذاتها, لكمها في هذا العصر بعثت إلى الحياة من جديد, وازداد عدد الفنانين الجيدين أضعافًا وكذا رجال الأدب المتألقين اليوم...).

إذًا, فقد نظر إلى عصر النهضة في زاويتي انتعاش الأدب اللاتيني الرصين والفنون التشكيلية, وأحد أسباب هذه الأهمية البالغة التي يضيفها رجال ذلك العصر على الاستخدام اللاتيني الأمثل يكمن في حقيقة كونه اللسان المشترك للطبقة المثقفة, وهي تؤلف نسبة صغيرة جدًا من السكان في أي بلد, وهناك سبب آخر أقل ظهورًا, هو أنّ الدول الأوربية الجديدة كانت في طور التكوين وبعضها, مثل فرنسا وانكلترا, ذات ملكية مركزية, والبعض الآخر مثل أغلب الدويلات الإيطالية, ذات مجتمعات تجارية مستقلة, وهذه الدول كانت بحاجة إلى طبقة إدارية محترفة, متمرسة بالقانون الروماني جيدًا الذي كان ما يزال نافذًا, ولقد كان أبناء هذه الطبقة لا محالة لهم أرباب المعرفة العلمانية الجديدة (موري, ص٦).

جذبت تعاليم لورنزو في اللاتينية الانتباه بشكل تدريجي وفاز بمنصب في الفاتيكان وعدّ ذلك انتصار للنزعة الإنسانية على الأرثوذكسية وتقاليد الكنيسة.

هاجم البابوية في كتاباته وعدّها مصدر كل الشرور التي كانت تعاني منها إيطاليا في ذلك الوقت, دعا إلى التشكيك في الحاجة إلى طريقة الرهبانية في الحياة, ولذلك اتم بالهرطقة في محكمة التفتيش سنة (١٤٤٤), في سنة (١٤٤٧) كان لورنزو في خدمة البابا نيكولاس الخامس الذي عرف بحبه وولعه بالمخطوطات فأرسل الباحثين إلى القسطنطينية وألمانيا وانكلترا لجلب المخطوطات اليونانية واللاتينية, وكان كريمًا في العطاء لكل من يترجم إلى اللاتينية أعمال مؤلفين يونانيين, بما في ذلك هيرودوت وثوسيديديس, وعدّ ذلك في روما انتصار الفكر الإنساني على التقاليد الدينية وأهم أعمالهُ الدراسة العلمية الموسومة (جمال اللغة اللاتينية), وهي دراسة للأخلاق الرواقية والايقورية وكتب (المنطق حول زيف هبة قسطنطين) ليشكل أساس الإيمان العام في زيف النص الديني الشهير (نعمة, ٢٠٢٢, ص١٠٢). فكشف أنّ هذه الوثيقة مزورة وترجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي (البهجى, ٢٠١٦, ص٢٠٦).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

ذلك أنّ لغة الوثيقة لم تكن تلك اللغة التي كان من الممكن أن تكتب في مســـتل القرن الرابع بعد الميلاد (برنتن, ٢٠١٧, ص٢٧٧), بل تعود إلى أربعة قرون أو خمســة قرون بعد ذلك (لوغوف, ٢٠١٧, ص٣٤٠). لذلك فإنّ أهم انجاز قام به فالا هو دراسته وتحليله وبكل جرأة لوثيقة كنيسة كانت تعتبر سند قانوني وتاريخيًا تقوم عليه سلطة الكنيسة الدنيوية وهي وثيقة (هبة قسطنطين) (الأدهمي, ٢٠١, ص٢٤).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الثاني

كتبه ونقده للفلسفة المدرسية

كتاب المتع والملذات:

وهو أحد كتب فالا التي أثارت ضجة في الأوساط الكهنوتية اللاهوتية المتمزقة, وهو المتع والملذات فقد أثبت فيه لورنزو على أنّ للمسيحي له الحق في أن ينال نصيبه من متع العالم وملذاته دون أن يتخلى عن إيمانه وعرض كل ذلك على هيئة حوار فلسفي, ولكن اضطر بعد ذلك لتغيير عنوان الكتاب وشخصيات الحوار فأصبح عنوانه (الخير المحصن بدلًا من الشهوات والملذات), فَحْوى هذا الكتاب كان يعالج فالا مسألة الخير المحض ولكي يوضح مقصده بشكل أفضل فأنه يستعرض المسألة من خلال ثلاث أشخاص, كل واحد منهم يجسد موقفًا مختلفًا, فالموقف الرواقي يمثله شخص اسمه ليونار, والموقف الايفوري يمثله أنطوان, والموقف المسيحي يمثله نقولا, وكان واحد من هؤلاء الثلاثة يدافع عن عقيدته تجاه مسألة الخير المحض وعلاقته بالمتع والملذات (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٦).

فـ(ليونار) وموقف الرواقي كان يرى أنّ الخير يتطابق مع الفضيلة الأخلاقية, ولكن الرواقيين كانوا يغيرون الطبيعة والعناية الإلهية بمثابة الحقيقين الكاملتين, أما ليونار كان يشتكي من عداتية الطبيعة وعدالتها اللذين جعلا الفضيلة نادرة وصعبة جدًا, وبالتالي فإنّ الإنسان أصبح يعاني من اليأس والشقاء؛ لأنّه وضع نصب عينه هدفًا أعلى من أجل تحقيقه (أي الفضيلة) ولكنه يجد نفسه عاجزًا عن تحقيقه فيصاب بالإحباط.

أما أنطوان فيدافع عن المذهب الابيقوري المنغمس في الملذات ويهاجم الموقف (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٦) الرواقي المحجم عنها, وهو يرى أنّ الخير المحض لا يمثل في الفضيلة الأخلاقية وإنما في المتعة المتطابقة مع المنفعة: فكل ما هو لذيذ نافع وخير, ثم يستعرض خيرات الثروة والجسد والنفس ويبرهن على أنّها جميعها تعود إلى متع الجسد والنفس, فالمتعة هي وحدها تتطابق مع الطبيعة, وعوضًا عن أن تعتبرها أدنى من مستوى الفضيلة فإنها تبدو قائدة لكل الفضائل, كل متعة هي خير يقول أنطوان ثم يدافع عن المتع الحسية, وأما الفضيلة الرواقية فلا معنى لها لأنّها خيال, وفي الختام يقول انطوان إنّ الإنسان ليس إلّا حيوانًا, ولا حياة له بعد الموت, وينبغي له المتع بالحياة, فلا ثواب ولا عقاب بعد الموت, وإنما الفناء الأبدي, أما نقولا الذي يمثل الموقف المسيحي يرى أنّ انطوان يفكر الحياة بعد الموت إذ أنّه يمزح ولا يعبر عن رأيه الحقيقي, فإنكار الآخرة مضاد للعقيدة المسيحية, ومن الخطأ الكبير أن يتنزل الإنسان إلى مرتبة الحيوان, فيجب أن نثني على القدماء اليونانيين من أجل عملهم لا من أجل أخلاقهم, فأخلاقهم لم تكن مسيحية, والعقيدة الرواقية غير متوافقة مع العقيدة المسيحية؛ لأنّها تحل الطبيعة محل الله, فهي وثنية لا تعترف بالله وإنما بقوانين المادة والطبيعة فقط, فالمتعة نوعان: أما مباشرة فأرضية, وأما

مؤجلة وسماوية, والأولى مصدر الرذائل, والثانية مصدر الفضائل (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٧) , وبالتالي فينبغي أن نحرم أنفسنا من الأولى إذا ما أردنا أن نفوز بالثانية (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٧). فإنّ أرواحنا تصعد إلى السماء (أي إلى الجنة), وأما روح الإنسان ذي النية الفاسدة فتذهب إلى النار, وفي الجنة يمكننا أن نذوق المتعة الأبدية التي تتفوق على جميع المتع والملذات.

وفي الواقع أنّ بعضهم رآى من هؤلاء الأشخاص الثلاثة: ليونار, انطوان, نقولا, حيلة يختبئ وراءها لورنزو فالا لكي يموه موقفه, وكما لو أنّ مسيحية عصر النهضة أصبحت تقبل الحياة طيلة العصور الوسطى وتنزوي في أعماق الأديرة المقطوعة عن العالم.

القضاء والقدر عند فالا:

اهتم لورنزو فالا بمسألة القضاء والقدر, أي أنّ قضاء الله وقدرته وحرية الاختيار متروكة للإنسان (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٨). وهو يطرح المسألة على النحو التالي: هل المعرفة الأسبقية لله وحرية الإرادة للبشرية متوافقتان أم متعارضتان؟ ويجيب قائلًا بأنّها متوافقتان, فالمعرفة الأسبقية أو المسبقة بشيء ما حتى من الله لا ينبغي أن تعتبر بمثابة السبب لوقوع هذا الحدث, فقد يعرف الله بإمكانية وقوع حدث ما من دون أن يقع, بإمكانية حصول حدث ما لا تعني أنّه سيحصل بالضرورة, فقد يكون ممكنًا من دون أن يحصل وهكذا يحل لورنزو فالا هذه المسألة الأولى.

ولكن تبقى هناك مسألة ثانية أكثر صعوبة هي: إنّ إرادة الله وقدرته اللامحدودة (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٨) هي سبب كل شيء بما فيها خلق الكائنات البشرية نفسها, وهكذا يظل السؤال الأولي مطروحًا: كيف يمكن لإرادة الله أن تتوافق مع حرية الاختيار للبشر إذا كنا نعلم أنّ الله هو الذي يتحكم بالإنسان في كل ما يفعله؟ ونجد مثالًا يبرهن على أنّ العناية الإلهية وحرية الاختيار للإنسان متوافقتان, ولكن لم يجب على السؤال فيما إذا كان قضاء الله وقدره يترك أي هامش حرية للإنسان, فيعترف فالا بأنّ الإنسان غير قادر على الإجابة فهذه مسألة تتجاوز حدود عقله وامكانياته (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٩).

نقد فالا للفلسفة الدراسية:

في كتابه (إعادة صياغة الجدلية والفلسفة) الموجود في ثلاث نسخ بعناوين مختلفة قليلًا, يهاجم فالا ما يراه على أنّه أسس الفلسفة المدرسية الأرسطية والتخلص من كل ما يعتبره قاحلًا وعقيمًا في الفكر المدرسي وإعادة زراعة الأرض من خلال رشها بالمياه الخصبة للبلاغة والنحو, أي أنّه يضع برنامجًا للإصلاح بدلًا من الدمار, كان الكتاب الأول مخصص بشكل أساسي للميتافيزيقيا, وفصول عن الفلسفة الطبيعية والفلسفة الأخلاقية, وفصل مثير للجدل عن الثالوث, أما الكتابين الثاني والثالث الافتراضات وأشكال الجدل مثل القياس, قسم فالا الفئات إلى ثلاثة أساسية هي (الجوهر, والجودة, والعمل) ويرى فالا أنّ هذه الفئات تلخص الجوانب الحقيقية للأشياء, كما وقد قلّل فالا المصطلحات المدرسية المقالية ويجب

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

اختزال المصطلحات الستة التقليدية وهي (الكينونة, الشيء, واحد, صحيح, جيد, شيء) إلى شيء (الكلمة اللاتينية) لأنّ كل شيء موجود هو شيء, كما أنّه لا يعارض ادخال كلمات جديدة لأشياء غير معروفة في العصور القديمة, فكان اهتمامه الرئيس في دراسة عمل اللغة وكيفية ارتباطها بعالم الأشياء اليومية, العالم الذي نراه ونحتبره (Stanford, P. 4– 5), كما توجه نقده للفلسفة الطبيعية الأرسطية ورفضه للعديد من المبادئ الأساسية للفيزياء الأرسطية, على سبيل المثال أنّ الحركة هي سبب الحرارة, وإنّ الجمع بين الحرارة والرطوبة وهو شرط كافي لتوليد الحياة, وإنّ أهمية جدل فالا في هذه الفلسفة لا تكمن في جودة حجمه بقدر ما تكمن في الميل النقدي الذي تكشفه وإنّ استنتاجات أرسطو غالبًا ما لا تتوافق مع التجربة اليومية.

كما نقد فالا فلسفية أرسطو الطبيعة لأنّها وفقًا له, تنتقص من قوة الله بعبارات جدلية قوية, يهاجم أرسطو لأفكاره (المشركة) ولما يراه فالا معادلته لله مع الطبيعة, وفالا يريد إعادة الله كخالق وحيد للسماء والأرض, كما رفض فالا فكره الله كمحرك أول للكون؛ لأنّ الحركة والراحة هي مصطلحات لا ينبغي تطبيعها على الكائنات الروحية مثل الله والملائكة والأرواح (Stanford, P. 6– 7).

لذلك فإنّ مساهمات فالا في الدراسات التاريخية والكلاسيكية والكتابية ساعدت على تمهيد الطريق لفقه اللغة النصي والنقدي لا يراسوس والأجيال اللاحقة من الإنسانيين, فإنّ نقده للفلسفة والتاريخ مهم حيث أدّت الدراسة الإنسانية للرواقية والابيقورية والشك والافلاطونية الحديثة إلى توسيع الأفق الفلسفي وتأكل الإيمان بالحقيقة العالمية للفلسفة الأرسطية (Stanford, P. 15).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

المبحث الثالث

وثيقة هبة قسطنطين وكشف حقيقة تزويرها

هبة قسطنطين:

إنّ في ٣٠ مارس من عام ٣١٥ وقع الامبراطور الروماني قسطنطين مرسومًا يهب فيه البابا سيلفستر الأول وخلفاءه من بعده, الهيمنة الأبدية على الجزء الغربي من الامبراطورية الرومانية, وقد احتفظ الباباوات بهذا المستند القيم واستخدموه كأداة دعائية فعالة كلما واجهوا معارضة من أمراء طامحين أو مدنًا مشاكسة أو فلاحين ثائرين.

وقد كان الناس في أوربا (القروسطية) يولون احترامًا عظيمًا للمراسيم الامبراطورية القديمة, ويؤمنون بأنه كلما ادخل المستند في القدم كلما زادت السلطة التي يمثلها, كما كانوا يؤمنون بأنّ الملوك والأباطرة هم خلفاء الإله في الأرض, وقد حظى قسطنطين على وجه التحديد بالكثير من التبجيل لأنّه حول الامبراطورية الرومانية من عالمها الوثني إلى امبراطورية مسيحية (هراري, ٢٠١٦, ص١).

لذا وفي أعين الأوربيين القروسطيين, فإنّ أي خلاف بين مجلس بلدي معاصر ومرسوم صادر عن قسطنطين العظيم ذاته, لا بدّ أن يحسم بطاعة ذلك المستند العتيق وهكذا, كلما واجه البابا معارضة سياسية لوح بالهبة القسطنطينية, مطالبًا بالطاعة التامة وقد احتلت تلك الهبة مكانة مهمة في الدعاية البابوية وفي النظام السياسي القروسطي, رغم أنّها لم تكن تنجح في كل مرة, فكانت تتضمن ثلاثة أجزاء مختلفة هي:

١. حكم أخلاقي: على الناس أن يحترموا المراسيم الامبراطورية القديمة أكثر من الآراء الشعبية المعاصرة.
٢. وصف للواقع: في ٣٠ مارس من عام ٣١٥ منح الامبراطور قسطنطين الباباوات السيادة على أوربا.
٣. توجيه عملي: على الأوربيين في عام ٣١٥, إن يطيعوا أوامر البابا (هراري, ٢٠١٦, ص٢).

فيقال أنّ الامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٥– ٣٣٧) لم يشف من مرض الجذام لذي أصابه إلّا بفضل صلوات البابا سلفستر الأول (٣١٤– ٣١٥), فكافأ الامبراطور البابا بإصداره قانون يسمح له باعتمار التاج واستعمال الصولجان, مثله في ذلك مثل الأباطرة الرومان تمامًا, ووفق هذه الرواية يكون الامبراطور قسطنطين قد منح الأساقفة وكبار رجال الدين في روما الامتيازات نفسها التي كان يتمتع بها شيوخ الامبراطورية القديمة, وحتى لا تتأثر سلطة البابا بوجود شخص الامبراطور في روما, تحول الامبراطور قسطنطين طواعيه عن روما وتركها للباباوات باعتبارها ملكًا تابعًا للكرسي البابوي, واختيار

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

لنفسه عاصمة جديدة في الشرق, هي القسطنطينية وبذلك آل حكم روما والمناطق المجاورة إلى الباباوات (سعيدوني, ص٢٩). وبموجب هذه الهبة أصبح للبابا حق امتلاك السلطة الزمنية, ليس فقط الروحية وعلى الرغم من أنّ هذا العمل مضاد للمبدأ الانجيلي القائل " ما لقيصر لقيصر , وما لله لله" كما أنّه مضاد لكلمة المسيح الشهيرة " مملكتي ليست من هذا العالم", إلّا أنّ بابوات روما كانوا يستمتعون بهذه السلطة الدنيوية ويحرصون عليها أشد الحرص, وقد وصل بهم الأمر إلى حد خلع الملوك والأباطرة واخفاءهم لهم, وممارسة السلطة السياسية بكل جبروت واقتدار , وخرجوا عن مبادئ الانجيل وانتهكوها بعد أن أعزتهم السلطة الدنيوية بكل متعها وأطايبها (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٥). فكانت هذه الهبة مقدسة لهم؛ لأنّ البابوات كانوا يقولون: إنّ الامبراطور قسطنطين الكبير وهب فيها أراضي إيطاليا للكرسي البابوي, باعتبار أنّها إرث الرسول بطرس أخذه عن السيد المسيح مباشرة (ياغي, ١٩٩٩, ص١٧٧).

فيمكن أن نعرف هبة قسطنطين بأنّها وثيقة قيل أنّها ترجع إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي, استند عليها البابوات في العصور الوسطى في صراعهم مع الأباطرة حول حقهم في السلطة الزمنية (عمر, ١٩٩٢, ص٢٥).

كذلك يمكن تعريفها بأنّها وثيقة مزورة دونها مستشار البابا في القرن الثامن ادعو فيها أنّ الامبراطور الروماني قسطنطين (٣٠٦- ٣٠٧) فتح البابا سلطة دنيوية على كل القسم الغربي من الامبراطورية بما في ذلك إيطاليا, وقد حول البابوات هذه الوثيقة المختلفة إلى أساس قانوني في صراعهم المرير من أجل السلطة الدنيوية (أحمد, ١٩٧٩, ص٤٧).

كشف الوثيقة:

في عام ١٤٤١م نشر لورنزو فالا دراسة علمية يثبت فيها أنّ الهبة القسطنطية مزورة, حلل فالا أسلوب المستند وبناءه اللغوي, وما تضمنه من ألفاظ وعبارات واستعرض ما ضمه المستند من كلمات لم تكن معروفة في اللغة اللاتينية المستخدمة في القران الرابع, مستنتجًا أنّ المستند قد زوّر بعد مضي ما يقارب ٤٠٠ عام على وفاه قسطنطين, كما أنّ المستند مؤرخ في الثلاثين من مارس في العام الذي انتخب فيه قسطنطين قنصلًا للمرة الرابعة وجاليكانوس قنصلًا للمرة الأولى, وقد جرت العادة في الامبراطورية الرومانية أن ينتخب قنصلين اثنين كل عام, وأن تؤرخ المستندات بالإشارة إلى السنوات التي قضوها في المنصب, ولسوء الحظ فإنّ السنة الرابعة لقسطنطين كانت في ٣١٥, بينما السنة الأولى لجاليكانوس لم تكن إلّا في ٣١٧, ولو كان هذا المستند بالغ الأهمية قد حرّر في عهد قسطنطين, لما كان بالإمكان أن يتضمن خطأً فادحًا كهذا (هراري, ٢٠١٦, ص٢- ٣). فاستند لورنزوا على قواعد تثبت أنّ قسطنطين لم يمنح هذه الهبة (مخروم, ص٦٩). إذ قام رجال الكنيسة بتزييفها وضع خاتم قسطنطين عليها في زمن يتأخر نحو خمسة قرون عن التاريخ الوارد بها (ياغي, ١٩٩٩, ص٦٩). أي في عهد بديبين القصير أو

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

شاركان فعرف لورنزو الفارق بين أسلوبها وأسلوب معاصري قسطنطين في الكتابة وفتح بذلك الباب لدراسة النصوص الدينية ونقدها لبيان الصحيح من الزور ونشره (محاسيس, ٢٠١٠, ص٣٢٠), وعلى أي حال فإنّ عمل (صاحب الفكر الثاقب) لورنزو كان يعتبره المؤرخين (بداية للدراسات الانتقادية العلمية الحديثة) فمن خلال التمحض النافذ والمقارنة الدقيقة وجد فالا أنّ اللاتينية التي دونت بها الوثيقة تختلف في نقاط حساسة عمّا ان شائعًا في عهد قسطنطين وإنّ بعض المدن التي وردت اسماؤها في (الهبة) لم تكن قد بنيت بعد في ذلك العهد (أحمد, ١٩٧٩, ص٤٨).

مهما يكن من أمر فإنّ فالا أثبت زيف هذه الوثيقة الشهيرة قد سحب كل مشروعية دنيوية أو زمنية من تحت أقدام الكنيسة (صالح, ٢٠٠٥, ص٩٥). وكانت أناقة تحليل فالا النصي مع هجومه القاسي على الكنيسة الرومانية وباباواتها, الذين أم أنهم " لم يكونوا يعرفون أنّ منحة قسطنطين مزورة وغير شرعية أو أنّهم زوروها" واتهم " بإهانة الدين المسيحي, وخلوا كل شيء بالقتل والكوارث والجرائم", فسخر فالا من اللغة اللاتينية غير الدقيقة المستخدمة في الوثيقة والتي تنطوي على مفارقات تاريخية, وكان الفونسو مبتهجًا بتدمير فالا لوثيقة (المنحة), واستخدم برهانها في محاولته التي كللت بالنجاح في لا نهاية لتأمين مملكة نابولي رغم المعارضة الملك الفونسو الخامس وخمايته (سعيدوني, ص٣٠), فعين كاتبًا لدى الملك الذي كلفه بترجمة مؤلفات اغريقية, ومنحه شهادة تقر بمعرفة العلوم الدينية والمعارف الإنسانية, وأصبح محل تقدير المهمتين بالدراسات الاغريقية, ما مكنه من فتح مدرسة للبلاغة الاغريقية والبلاغة اللاتينية, وقد عينه البابا بنقولا كاتب بالدائرة الرسولية كما عمل كاتبًا لدى البابا نيكولا الخامس, وأسند إليه وظيفة كاهن قانوني في كنيسة القديس يوحنا اللتراني (سعيدوني, ص٣٠– ٣٢).

لم يكتف فالا بالتوصيل إليه بل استمر ينتقد مذاهب فكرية وعقائديته كانت شائعة ومسلم بها, وقد دعا أبناء عصره إلى إعادة النظر فيها, وأمام هذه الحقائق التي توصل غليها فالا من خلال التحليل والاستنتاج اضطرت الكنيسة زمن البابا نيقولا الخامس إلى قبول ما توصل إليه هذا المؤرخ بل أنّها عينته في مركز رفع تقديرًا لعلمه ولمنهجه الجديد في البحث التاريخي (الأدهمي, ٢٠١٠, ص٢٤).

مجلة دجلة للعلوم الإنسانية • المجلد ٢ ،العدد ٢ (حزيران ٢٠٢٦)، ص: ٥٥٤ -٥٦٨
E- ISSN: 3079-7861 • P- ISSN: 3079-7853

الخاتمة

في الختام يعد لورنزو فالا (١٤٠٧– ١٤٥٧) من أبرز المفكرين في عصر النهضة الإيطالية وأحد رواد النقد الفلسفي واللغوي في أوربا, تميز بقدرته الفائقة على تحليل النصوص القديمة والتشكيك في صحة بعض الوثائق التاريخية المهمة مثل (وثيقة قسطنطين) التي أثبت زيفها من خلال احداث النقد اللغوي والتاريخي, كما وقد ساهمت أفكاره بشكل كبير في تعزيز روح الشك والتفكير النقدي ممّا مهد الطريق للاصلاحات الفكرية والدينية لاحقًا, ممّا جعله أحد الشخصيات المؤثرة في تشكيل النهضة الأوربية.

المصادر العربية والمعربة:

١. اسماعيل أحمد محمد ياغي. (١٩٩٩). مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه. الرياض.

٢. انتوني جوتليب. (٢٠٠٠). حلم العقل تاريخ الفلسفة في عصر اليونان إلى عصر النهضة, ترجمة محمد طلبة نصار, يورك هاوس, المملكة المتحدة.

٣. ايناس حسني البهجى. (٢٠١٦). تاريخ أوربا في العصور الوسطى. عمان: مركز الكتاب الاكاديمي.

٤. بيتر وليذا موري. فن عصر النهضة. ترجمة: فخري خليل.

٥. جاك لوغوف. (٢٠١٧). التاريخ والذاكرة. ترجمة: جمال شحيد.

٦. جيري بروتون. عصر النهضة مقدمة قصيرة جدًا. ترجمة: إبراهيم البيلي محروس.

٧. الشيخ كامل محمد محمد عويضة. انسلم بين الحضارة الأوربية والعصر الوسيط. بيروت: دار الكتب العلمية.

٨. عبد العظيم رمضان. تاريخ أوربا والعلم في العصر الحديث (مجلد ١).

٩. عمر عبد العزيز عمر. (١٩٩٢). دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث. اسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

١٠. كرين برنتن. (٢٠١٧). أفكار ورجال قصة الفكر العربية. ترجمة: محمود محمود. المملكة المتحدة: هاي ستريت.

١١. كمال مظهر أحمد (١٩٧٩). منشورات وزارة الثقافة والفنون. العراق.

١٢. محمد مخزوم. مدخل لدراسة التاريخ الأوربي (عصر النهضة). دار الكتاب اللبنانية.

١٣. محمد مظفر الأدهمي. (٢٠١١). تاريخ أوربا الحديث عصر النهضة– الثورة الفرنسية القرون ١٦– ١٨ ميلادية. ط١.

١٤. ناصر الدين سعيدوني. الفكر التاريخي الأوربي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر من لورنزو فالا إلى كوندورسيه.

١٥. نجاة سليم محاسيس. (٢٠١٠). مفاتيح علم التاريخ. دار زهران للنشر والتوزيع.

١٦. هاشم صالح. (٢٠٠٥). مدخل إلى التنوير الأوربي. ط١. بيروت: دار الطليعة.

١٧. يوفال نوح هراري. (٢٠١٦). الإنسان الإله تاريخ وجيز للمستقبل. ترجمة: حمد سنان وصالح علي الفلاحي. أبو ظبي.

١٨. يونس عباس نعمة. (٢٠٢٢). أثر الحركة الإنسانية في العصور الوسطى (المجلد ١٢). العدد ٣. مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية.

المصادر الأجنبية:

1. Jonathan Amold. (2011). The Great Humanists.
2. Stanford Encyclopedia of philosophy.